دوفصل‌نامه علمی - تخصصی
مطالعات تاریخی امت اسلامی
س۸، ش۱٦، پاییز و زمستان ١٤٠٤
صفحات ۵۵ تا ۸۰

Quarterly Journal
Historical Studies of Islamic Community
Vol.8, No. 16, Autumn & Winter 2025
P 55 - 80

تأثير التعاليم الإسلامية فى العادات والتقاليد لشعب غرب أفريقيا منذ ورود الإسلام حتى الآن (بوركينافاسو ومالى نموذجاً)

نوفو مايگا[1]

المستخلص

تُعدّ العادات والتقاليد من أبرز الموروثات الإنسانية التى تنعكس بوضوح فى الحياة الاجتماعية للشعوب، وتعبر عن هويتها الثقافية والتاريخية. وقد اهتمت التعاليم الإسلامية بهذا الجانب المرتبط بطبيعة الإنسان وسلوكه الاجتماعى، إذ أشار القرآن الكريم والروايات الإسلامية إلى عادات الأمم قبل الإسلام وبعده، مما يؤكد أهمية دراسة هذا الموضوع. وقد امتلكت شعوب غرب أفريقيا، خاصة فى بوركينافاسو ومالى، عادات وتقاليد موروثة تناقلتها الأجيال قبل دخول الإسلام. ومع انتشار الإسلام فى المنطقة، ظهر تأثير واضح للتعاليم الإسلامية فى تلك العادات، سواء من خلال تعزيز ما ينسجم مع القيم الإسلامية أو تعديل بعض الممارسات المخالفة لها. وتبين دراسة هذه التحولات منذ دخول الإسلام حتى العصر الحاضر أن التأثير الإسلامى شمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. ومع ذلک، لم تختفِ الموروثات القديمة تماماً، بل استمر بعضها بعد تكيّفه مع الإطار الإسلامى، الأمر الذى أدى إلى الاعتقاد بأن جميع الممارسات الحالية ذات أصل إسلامى، رغم أن بعضها يعود إلى تقاليد سابقة على الإسلام. ويعتمد البحث على المنهج الوصفى التحليلى بالاستناد إلى مصادر تاريخية ودراسات متخصصة متنوعة.

الكلمات المفتاحية: تعاليم إسلامية، عادات وتقاليد، غرب أفريقيا.

---

[1] كارشناسى ارشد، رشته تاريخ تمدن اسلامى، مجتمع آموزش عالى تاريخ، سيره و تمدن اسلامى، جامعه المصطفى العالميه.

المقدمة

العادات والتقاليد هى موروثات تجد أصلها فى أصل الإنسان وفى البيئة التى يعيش فيها، إذ يعود الأمر إلى التنوع الدينى والجغرافى للأفراد. ستجد أن العادات والتقاليد الخاصة بكل مناسبة تختلف من مكان إلى آخر، وليست كل العادات والتقاليد صالحة لكل الأوقات، فهناك عادات إيجابية وأخرى سلبية.

ويعد المجتمع البوركينابى والمالى، كغيرهما من المجتمعات الأخرى التى لها عاداتها وتقاليدها وأعرافها وقيمها الدينية والاجتماعية.

المسألة الأصلية لهذه المقالة هى: هل كان لشعبى بوركينافاسو ومالى قبل الإسلام تقاليد متوارثة، وقد تأثرت هذه التقاليد مع دخول الإسلام فى المنطقة؟

أما سبب اختيارى لهذا الموضوع والمسألة المهمة فيه، فهى أن بعض شعب المنطقة المسلمة يرون أن كثيراً من هذه العادات والتقاليد إسلامية كلها دون فرق بين ما أيدها الإسلام وما حذفها أو جاء بها. واختيارى لهذين البلدين (بوركينافاسو ومالى) لكتابة المقالة إنما هو لتشابههما فى كثير من العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية والثقافية. والجدير بالذكر أن البحث سيركز على بعض العادات والتقاليد (الدينية والاجتماعية والثقافية) المشتركة بين شعب بوركينافاسو ومالى منذ ورود الإسلام فيهما حتى الآن.

ومن هنا نطرح هذه الأسئلة:

١. ما هى العادات والتقاليد لشعب منطقة غرب أفريقيا قبل الإسلام؟

٢. ما هى العادات والتقاليد لشعب منطقة غرب أفريقيا المحذوفة والتى تم تغييرها بعد الإسلام؟

٣. ما هى العادات والتقاليد التى أوجدها الإسلام لشعب منطقة غرب أفريقيا؟

أهداف المقالة هى: حفظ هوية المجتمع واتحاد شعبها، تعزيز الارتباط بين أفراد المجتمع وتشجيع الاحترام والتفاهم بينهم، تنظيم الحياة الاجتماعية وتحديد دور كل فرد وما يجب عليه القيام به فى المجتمع، العثور على جذور الهوية وعدم القطع عن الماضى والموروث الثقافى الذى حافظ عليه الأجداد، وبيان العديد من القيم التى كانت تميز المجتمع، والحفاظ على المبادئ التى كانت تجمع أفراد المجتمع وتوطد الصلة بينهم.

فلذلک أرى من الضرورى البحث عن بعض العادات والتقاليد المشتركة فى منطقة غرب أفريقيا (بوركينافاسو ومالى) ودراسة تأثير التعاليم الإسلامية فيها، ليعرف الشعب أن هذه

المنطقة كانت لها عادات وتقاليد قبل ورود الإسلام فيها.

نتيجة المقالة بعد الفحص والتتبع حول دراستنا عن تأثير التعاليم الإسلامية فى العادات والتقاليد لشعب منطقة غرب أفريقيا منذ ورود الإسلام حتى الآن (بوركينافاسو ومالى)، نستنتج ما يلى: من خلال بحثنا ندرک جلياً أن المنطقة المقصودة كانت لها ما يشفى غليلها من العادات والتقاليد حسب إدراكها وفهمها قبل دخولها فى الإسلام؛ العادات والتقاليد التى كانوا عليها قبل الإسلام بعضها كانت ممدوحة وبعضها الآخر مذمومة سواء من قبل الإسلام أو شعب المنطقة بأنفسهم. ومن ثم، فإن دراسة تأثير التعاليم الإسلامية على عادات وتقاليد المجتمعين (البوركينابى والمالى) منذ دخول الإسلام فى المنطقة إلى الآن، ستتيح الفرصة لفهم اتجاهات هذا المجتمع نحو العادات والتقاليد كظواهر اجتماعية سائدة فى هذا المجتمع، وإذا كان الكثير من هذه الموروثات قد دخل فى غياهب النسيان مع التحولات الحضارية التى طرأت على حياة الناس والمجتمعات.

خلفيةُ موضوع البحث:

نظراً للأهمية الفائقة للعادات والتقاليد من منظور الآيات القرآنية والروايات الشريفة فى حياة الإنسان فردياً أو اجتماعياً، دنيوياً أو أخروياً، دفع ذلک كثيراً من العلماء والمحققين وغيرهم إلى البحث حول هذا الموضوع، وقاموا بتصنيف كتب أو مقالات حول العادات والتقاليد بشكل عام، وعن غرب أفريقيا بشكل خاص. أما ما يتعلق بمنطقة بوركينافاسو ومالى، فقليل ما نجد من كتب عن عاداتها، إلا أن قليلاً من العلماء قد أشاروا إلى بعض النقاط فى كتبهم، فنذكر منها:

– رحلة ابن بطوطة، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى، وفى هذا الكتاب ذكر بعض العادات والتقاليد التى كان يمارسها شعب غرب أفريقيا خصوصاً شعب مالى وملوكها. وسنستفيد بهذا السند كشاهد لنا فى كثير من العادات والتقاليد فى منطقة مالى وبوركينافاسو، حيث أن كثيراً من تلک العادات كانت تمارس فى بوركينافاسو أيضاً.

– التفاعل الدينى الاجتماعى فى بوركينافاسو (الأرواحيّة والإسلام) نموذجاً، للدكتورة زينب بيلا تاسيرييانكينى، وتعرض هذه الدراسة بعض مظاهر التفاعل الدينى الاجتماعى فى بوركينافاسو، فى موازنة بين الأرواحيّة والإسلام. وتأتى الأرواحية أولاً بوصفها الديانة التقليدية فى بوركينافاسو، ثم يأتى بعدها الإسلام، ثم المسيحية، أى أنها دولة متعددة الأديان.

وسنعتمد على بعض مطالب الكتاب كسند لهذا البحث فی بعض المجالات.

المفاهيم:

فی بداية هذا البحث نقوم بالتعريف والبيان للمطالب التالية التی تلعب دوراً مهماً فی هـذه المقالة، ألا وهی: تعريف العادات والتقاليد، العادات والتقاليد فی الكتاب والسنة، تعريف غرب أفريقيا، تعريف بوركينافاسو وورود الإسلام فيها، تعريف مالی وورود الإسلام فيها.

تعريف العادة:

العادة فی اللغة مأخوذة من العود أو المعاودة بمعنى التكرار، والعادة اسم لتكرير الفعـل أو الانفعال حتى يصير سهلاً تعاطيه كالطبع، ولذلک قيل: العادة طبيعة ثانية. ومادة العادة تقتضی تكرار الشیء وعوده تكراراً كثيراً حتى يخرج عن كونه واقعاً بطريـق الاتفـاق، ولـذلک كـان خرق العوائد لا يجوز إلا فی معجزة نبی أو كرامة ولی.

العادة فی الاصطلاح تختلف عند الأصوليين عنها عند الفقهاء (الغزی، ۱۹۹۶: ۱، ۲۷۳).

تعريف العادة عند الأصوليين: عرّف الأصوليون العادة بأنها "الأمر المتكرر من غير علاقة عقلية"، لأن التكرار إذا كان ناشئاً عن علاقة عقلية، وهی التی يحكم العقـل فيهـا، لـم يكـن عندئذ من قبيل العادة، بل من قبيل التلازم العقلی، وذلک كتكرر حدوث الأثـر كلمـا حـدث مؤثر، لأن المؤثر علة لا يختلف عنها معلولها، كتحرک الخاتم بحركة الإصـبع وتحـرک ورق الشجر كلما تحركت الريح، وتبدل مكان الشیء بحركته، فهذا لا يسمى عادة مهما تكرر، لأنه ناشئ عن تلازم وارتباط فی الوجود بين العلة والمعلول، يقضی به العقل، ولـيس ناشـئاً عـن ميل الطبع (الغزی، ۱۹۹۶: ۱، ۲۷۳).

تعريف العادة عند الفقهاء:

عرّف الفقهاء العادة بأنها "عبارة عما يستقر فی النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة". فكون العادة أمراً متكرراً متفق عليه بين الأصوليين والفقهاء، والأمر المتكرر يشمل كل حادث يتكرر لأن لفظ الأمر من أوسع ألفاظ اللغة عموماً وشمولاً. ويفترق تعريف الفقهاء عن تعريف الأصوليين بأنه لم يشترط نفی العلاقة العقلية، فتعريف الأصـوليين أخـص وتعريف الفقهاء أعم من هذا الوجه.

ومع أن تعريف الفقهاء للعادة يتضمن قبولها عند الطباع السليمة، فإن إطلاق لفـظ العـادة عند الفقهاء يتضمن ما يلی:

١. يطلق لفظ العادة على ما يعتاده الفرد من الناس فى شؤونه الخاصة، كعادته فى نومه وأكله ونوع مأكوله وملبوسه وحديثه وكثير من أفعاله، وهذا يسمى عادة فردية.

٢. يطلق أيضاً على ما تعتاده الجماعات مما ينشأ فى الأصل عن اتجاه عقلى وتفكير، حسناً كان ذلک أو قبيحاً، وهذا يسمى عند الأكثرين عرفاً (الغزى، ١٩٩٦: ١، ٢٧٣).

٣. كما تطلق العادة على كل حال متكررة سواء كانت ناشئة عن سبب طبيعى كإسراع بلوغ الأشخاص ونضج الثمار فى الأقاليم الحارة وإبطائه فى الباردة وكثرة الأمطار فى بعضها صيفاً وفى بعضها شتاءً، أم كانت ناشئة عن الأهواء والشهوات وفساد الأخلاق، كالتقاعس عن فعل الخبرات، والسعى بالضرر والفساد، وتفشى الكذب وأكل المال بالباطل والفسق والظلم، مما يسميه الفقهاء فساد الزمان (الغزى، ١٩٩٦: ١، ٢٧٣).

التقليد:

التقليد لغةً وضع الشيء فى العنق حال كونه محيطاً به، ويسمى ذلک الشيء قلادة، ومنه تقليد الهدى فى الحج، أى وضع القلادة فى عنق ما يُهدى إلى الحرم من النعم، وجمع القلادة قلائد. أخذ مذهب الغير من غير معرفة دليله، فالمقلد يعتقد صحة ما يقوله غيره، ويتبعه عليه من غير معرفة الدليل الذى أوجب القول، سواء كان ذلک قولاً أو فعلاً، عملاً أو تركاً (الغزى، ١٩٩٦: ٢، ٣٥٥). فالعادات والتقاليد هى عبارة عن موروثات يعود أصلها إلى نشأة الإنسان وبيئته التى يعيش فيها، إذ يعود الأمر إلى التنوع الدينى والجغرافى للأفراد، فتجد أن العادات والتقاليد الخاصة بالمناسبات كافة تختلف من مكان إلى آخر، كما أنه ليست كل العادات والتقاليد صالحة لكل الأزمنة، إذ إن هناک عادات إيجابية وعادات سلبية. تزخر المجتمعات الأفريقية بالكثير من العادات والتقاليد الموروثة التى تكونت نتيجةً للقيام بأفعال معينة باستمرار حتى أصبحت عادة، ويمكن اعتبار العادة أنها كل ما يقوم به الإنسان ويكرره أكثر من ثلاث مرات ويصبح عادة روتيناً يومياً. من المعلوم أن الإنسان اجتماعى بطبيعته التى فطره الله عليها، إذ يحب العيش وسط مجتمع ذى موروث اجتماعى محدد وعادات وتقاليد معروفة، ولا يمكن لشخص واحد تشييد حضارة كاملة بمفرده، وإنما يحتاج إلى مجموعات كبيرة من الناس للقيام بذلک، وبالتالى ينتج عن هذه المجموعات عادات وتقاليد عديدة منها ما هو إيجابى وجيد (بالرقى، ٢٠٢٢: ٥).

أقسام العادة: العادة تنقسم إلى قسمين:

– عادة حسنة: وهی السلوک المتکرر بین عقلاء الناس المتفق مع الشریعة الغراء، وهی التی لا تصادم نصاً أو تعطله، والعادة الحسنة هی التی نعبر عنها بقولنا: "وفقاً للعادة المتبعة"، أو "جرت العادة بکذا"، أو ما شابه ذلک من المصطلحات.

– عادة سیئة: وهی عکس العادة الحسنة، إذ هی التی اعتادها جمع من الناس اعتماداً علی موروث خاطئ أو فهم مغلوط مضاد للقرآن والسنة والعقل السلیم.

العادات والتقالید فی الکتاب والسنة:

فی هذا المجال نرید أن نشیر إلی بعض الآیات والروایات التی تطرقت إلی بعض العادات والتقالید القدیمة، والمهم فی هذا البحث هو إدراکنا بأن القرآن الکریم والسنة النبویة لم یغفلا عن العادات والتقالید، بل تحدثا عنها وبینا موقفهما تجاهها من حیث حسن بعض العادات وقبح بعضها وما إلی ذلک.

العادة فی القرآن الکریم:

قال الله تعالی: «وَمَا کَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَیْتِ إِلاَّ مُکَاءً وَتَصْدِیَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا کُنتُمْ تَکْفُرُونَ» (سورة الأنفال، الآیة ۳۵). قال ابن عباس: کانت قریش تطوف بالبیت عراة، یصفقون ویصفرون، فکان ذلک عبادة فی ظنهم. والمکاء: الصفیر، یقال: مکا یمکو مکواً ومکاء إذا صفر. والتصدیة: التصفیق، یقال: صدی یصدی تصدیة إذا صفق (طنطاوی، ۱، ۱۸۱۸). قال الله تعالی: «وَإِذَا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَیْنَا عَلَیْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ کَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ یَعْقِلُونَ شَیْئًا وَلاَ یَهْتَدُونَ» (سورة البقرة، الآیة ۱۷۰). أی: وإذا قیل لأولئک الذین اقتفوا خطوات الشیطان، وقالوا علی الله بغیر علم ولا برهان، إذا قیل لهم: اتبعوا ما أنزل الله من قرآن، أعرضوا عن ذلک وقالوا: بل نتبع ما وجدنا علیه آباءنا من عبادة الأصنام والخضوع للرؤساء (طنطاوی، ۱، ۲۷۰).

العادة فی السنة النبویة:

حدثنا سلیمان بن عبد الرحمن الدمشقی وعبد الوهاب بن عبد الرحیم الأشجعی قالا: ثنا مروان، ثنا محمد بن حسان (قال عبد الوهاب: الکوفی)، عن عبد الملک بن عمیر، عن أم عطیة الأنصاریة: أن امرأة کانت تختن بالمدینة، فقال لها النبی صلی الله علیه (وآله) وسلم: "لا تُنْهکی (أی لا تبالغی فی الخفض، یعنی ختان النساء)، فإن ذلک أحظی للمرأة وأحب إلی البعل". قال أبو داود: روی عن عبید الله بن عمرو عن عبد الملک بمعناه وإسناده. قال أبو داود: لیس هو بالقوی، وقد روی مرسلاً. قال أبو داود: ومحمد بن حسان مجهول، وهذا

الحديث ضعيف. قال الشيخ الألبانى: صحيح (أبو داود، سنن أبى داود، باب ما جاء فى الختان: ٢، ٧٩٠).

غرب أفريقيا:

اصطلاح غرب أفريقيا والسودان الغربى كلاهما يدل على ما نقوله بمنطقة غرب أفريقيا، التى تمتد فى القارة من بحيرة تشاد فى الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطى فى الغرب. غرب أفريقيا تمثل منطقة واسعة، وهو الجزء من القارة الذى يقع فى غربها، ويشمل ١٥ دولة هى: بنين، بوركينا فاسو، تشاد، كوت ديفوار، غانا، غينيا، غينيا بيساو، ليبريا، مالى، موريتانيا، النيجر، ساوتومى وبرنسيب، السنغال، سيراليون، توجو (الرئاسة العامة، مجلة البحوث الإسلامية، باب غرب أفريقيا: ٧١٧).

ويزيد عدد سكان المنطقة عن ٢٥٠ مليون نسمة، وهى تمثل أكبر كتلة مسلمة فى أفريقيا، فأغلب سكانها مسلمون، إضافة إلى أنها أكثر أجزاء القارة من حيث الوحدات السياسية، والازدواجية فى التقسيم الديموغرافى. تمتد منطقة غرب أفريقيا والسودان الغربى من بحيرة تشاد فى الشرق حتى ساحل المحيط الأطلسى غرباً، وتقع على خط عرض ١٧،٩ شمال خط الاستواء على وجه التقريب، مساحتها ٤،٢ مليون ميل مربع، وهى جزء من السودان الغربى والأوسط. عرفها الكتاب الرحالة العرب على أنها البلاد التى يحدها بحر الظلمات (المحيط الأطلنطى) من الغرب وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق، إذ يمتد السودان الغربى من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية، ونقطة ارتكازه هى حوض السنغال وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط. وبذلك يمكن تحديد منطقة هذه الدراسة بحسب التسميات المعاصرة على النحو التالى: موريتانيا، السنغال، مالى، بعض المناطق من نيجيريا والنيجر.

ويتكلم سكان هذه المنطقة (السودان الغربى) لهجات مختلفة مثل لهجة التوى (TWi) والإيوى (EWE) واليوروبا (YORUBA) والكوا ولغة الماندى وأوغلو. وكانت غرب أفريقيا إحدى المناطق المأهولة منذ زمن بعيد، وقد كانت موطن قبائل وممالك ودول، ولعل أهم الممالك والقبائل التى تواجدت فى غرب أفريقيا هى: غانة، ومالى، وسنغاى، والهوسا، ومملكة كانم والبرنو، وقبيلة اليوروبا. ولقد تعددت الديانات فى هذه المنطقة منها الوثنية والمجوسية (شهرزاد بوجيل وربوش، ٢٠١٨: ٢٢).

الإسلام فی غرب أفریقیا:

المقصود ببلاد غرب أفریقیا هنا: البلاد التی کانت تعرف قدیماً باسم السودان الغربی والسودان الأوسط. وتشمل مساحة جغرافیة تمتد من مصب نهر السنغال فی الغرب إلی الحدود الغربیة لبلاد دارفور فی سودان وادی النیل فی الشرق، وتقع بین الصحراء الکبری فی الشمال، وبین نطاق الغابات الاستوائیة فی الجنوب.

ولقد تأثرت هذه الأقالیم بموجتین إسلامیتین، تتجلی أولاهما فی تسرب الإسلام وانتشاره فیها انتشاراً بطیئاً استغرق حوالی سبعة قرون ابتداء من القرن الخامس الهجری (۱۱م)، وجاءت الموجة الثانیة فی أعقاب حرکة الجهاد التی اضطلع بها الفلان فی القرن الثالث عشر الهجری (۱۹م) (مصطفی مسعد، ۱۹۹۱: ۱، ۴۲۸).

بورکینافاسو وورود الإسلام فیها:

بورکینا فاسو (فولتا العلیا) تقع فی غربی أفریقیا علی بعد حوالی ۹۷۰ کم شرق المحیط الأطلسی، عند الجزء الغربی البارز من الیابسة الأفریقیة. کانت هذه البلاد سابقاً تسمی فولتا العلیا. فی عام ۱۹۸۴م غیرت الحکومة الاسم إلی بورکینا فاسو. بورکینا اسم لشعوب تلک البلاد عامة، وتعنی الشعب الأمین، وبورکینا فاسو تعنی بلاد الشعب الأمین (الرئاسة العامة، مجلة البحوث الإسلامیة: ۷۴۰).

تحدیدات جغرافیهٔ لبورکینا فاسو:

۱. الموقع: تقع بورکینا فاسو فی وسط غرب أفریقیا، وهی من دول السهل الأفریقی، تحدها من الشرق النیجر، ومن الشمال والغرب مالی، ومن الجنوب غانا، والتوجو، وبنی، وساحل العاج. تبلغ مساحتها ۲۷۴,۱۲۰ کم^2.

۲. أصل تسمیة بورکینا فاسو: کانت بورکینا فاسو تسمی باسم (فولتا العلیا) نسبة إلی الأنهار الثلاثة التی تمر فی غرب البلاد وهی: فلتا الأسود، وفلتا الأبیض، وفلتا الأحمر. وعقب قیام ثورة (۴/۸/۱۹۸۳) تم تغییر اسم (فلتا العلیا) إلی (بورکینا فاسو) ویعنی (أرض الأحرار). والاسم مکون من لغتی: موری، وجولا، وصیغت النسبة من اللغة الفلانیة فیقال بورکینابی (burkinebe)، وبذلک یکون اسم الدولة مشتملاً علی ثلاث لغات رئیسة فی

الدولة (الموري، والجولا، والفولانية). فكلمة بوركينا (burkina) بموري (لغة الشعب الموسى) وتعنى: الحر، وكلمة فاسو (faso) بجولا (لغة الشعب الجولا) وتعنى: البلد أو الوطن، وكلمة بى (بالفولانية – لغة الفولانيين) وتعنى: من ينتسب إلى بوركينا. كان اسم البلد فى الماضى "جمهورية فولتا العليا"، وفى ٤ أغسطس ١٩٨٤ قام الرئيس توماس سانكارا بتغيير اسم الدولة إلى "بوركينا فاسو" والتى تعنى "بلد الناس النزيهين (الطاهرين)" بثلاث لغات رئيسية فى البلاد: موري (بوركيندى، أى الناس النزيهين أو الطاهرين)، وديولا (فاسو، أى دار الأب أو البلد)، وفولفولدى للنسبة بوركينابى (سكان بوركينا فاسو). وتعتبر مدينة واغادوغو أهم مدن البلاد وهى العاصمة، تأتى بعدها مدينة بوبوديولاسو (تراورى، ١٤٤١هـ: ٣٥).

٣. السكان ولغاتهم:

سكان بوركينا فاسو ينتمون إلى عناصر عديدة، منهم الموسى ويشكلون نصف السكان تقريباً، ثم الفولان والديولا والسامو والتنجا، ومن سكان بوركينا فاسو السنوفو والطوارق. ويبلغ عدد سكانها ٢٠،٤٨٧،٩٧٩ نسمة حسب إحصائية عام ٢٠١٩م (par Jk. Sidwaya - ٢٢ décembre ٢٠٢٠, le directeur général de LINSD, Boureima Ouedraogo). أما اللغة، فإن تعدد القبائل يفرض تعدد اللهجات، لذا نجد أن عدد اللهجات يبلغ نيفاً وخمسين. وأشهرها أو أكثرها استعمالاً هى: موري، الفلانية، بامبارا، جولا، غرماتسى، وسينوفو. واللغة الرسمية هى الفرنسية، وأما الإنجليزية فتدرس بعد الابتدائية فما فوقها (تراورى، ١٤٤١هـ: ٣٥).

دخول الإسلام فى بوركينا فاسو:

يشير التاريخ إلى أن الإسلام وصل إلى بوركينا فاسو فى وقت مبكر، إذ إن مملكة غانا القديمة كانت تشمل المنطقة الواقعة فى الطرف الجنوبى من الصحراء الكبرى إلى الشمال من أعالى نهر السنغال والنيجر. وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ دخول الإسلام فى بوركينا فاسو، فمنهم من يرى أن الإسلام دخل إلى مملكة موسى (بوركينا فاسو حالياً) فى القرن الثامن عشر الميلادى، غير أن المتخصصين فى تاريخ الإسلام فى بوركينا فاسو يكادون يتفقون على أن الإسلام دخل فى بوركينافاسو ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر

الميلادى. والمنافذ الرئيسة لدخوله كانت المنطقة الغربية، وبالتحديد بوبو جولاسو (Bobo Dioulasso)، والمنطقة الشمالية المعروفة اليوم بياتنغا (Yatenga) (تراورى، ۱۴۴۱هـ: ۳۵).

مالى وورود الإسلام فيها:

مالى إحدى دول غرب أفريقيا الكبرى، إذ تبلغ مساحتها ۱،۲۰۴،۰۰۰ كيلومتر مربع، وتجاورها كل من موريتانيا والجزائر والنيجر وفولتا العليا (بوركينافاسو) وساحل العاج وغينيا والسنغال (محمود شاكر وبيلتو، مواطن الشعوب الإسلامية فى أفريقيا (۱۴) مالى: ۱۰).

السكان: بلغ عدد سكان مالى فى عام ۲۰۲۲ نحو ۲۲،۳۹۵،۴۸۵ نسمة (INSTAT, "Résultats du RGPH۵, ۱۰ Aug ۲۰۲۳").

دخول الإسلام فى مالى:

الخلاصة التى تتأدى لنا هى أن الإسلام كان حاضراً فى بلاد مالى منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى). غير أن بعد المنطقة وقلة الدعاة بها جعل حظوظ انتشار الإسلام فيها ضئيلة جداً، وهذا ما يفسر ارتباطه بالأمير وحاشيته دون بقية الرعية (أحمد الشكرى، ۱۹۹۹: ۱۷۴).

العادات والتقاليد لشعب منطقة غرب أفريقيا قبل الإسلام

الاحترام والتجليل لرؤساء القبائل والمسنين:

يحظى السن والأقدمية ورئاسة القبلية باحترام كبير فى بوركينا فاسو ومالى. من المهم الاعتراف بالشيوخ ورؤساء القبائل وأولئک الذين يشغلون مناصب أعلى واحترامهم وتجليلهم، لأنهم السبب المتصل بيننا وبين الأجيال الماضية فى معرفة عاداتهم وتقاليدهم. والمثل الموسى يقول: "رائحة فم الشيخ كريهة أما كلامه فلا..."، يعنى عندما يتكلم معک الشيخ فتشم من فمه رائحة كريهة بحيث لا تريد الاقتراب منه، لكن كلامه عذب ونور ونصائح، فباحترامنا لهم ينقلون إلينا المعلومات التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

ومن باب احترام الشعب للملوک ورؤساء القبائل، نكتفى بما ذكره ابن بطوطة فى سفره إلى مالى وما رآه هناک كنموذج بارز، لأن تصرف شعب مالى وبوركينافاسو فى احترام

وتجليل ملوكهم متشابه.

ذكر ابن بطوطة جلوس السلطان منسى سليمان بقبته:

وله قبة مرتفعة بابها بداخل داره، يقعد فيها أكثر الأوقات. ولها من جهة المشور طبقات ثلاث من الخشب، مغطاة بصفائح الفضة، وتحتها ثلاث مغشاة بصفائح الذهب، أو هى فضة مذهبة، وعليها ستور ملف. فإذا كان يوم جلوسه بالقبة، رفعت الستور فعلم أنه يجلس. فإذا جلس أخرج من شباك إحدى الطاقات شرابة حرير، قد ربط فيها منديل مصرى مرقوم، فإذا رأى الناس المنديل، ضربت الأطبال والأبواق، ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد، فى أيدى بعضهم القسى، وفى أيدى بعضهم الرماح الصغار والدرق، فيقف أصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة، ويجلس أصحاب القسى كذلك. ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين، ومعهما كبشان، يذكرون أنهما ينفعان من العين (ابن بطوطة، ١٤١٧هـ: ١، ٣٤٣).

وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مسرعين، فيدعون نائبه قنجاه موسى، وتأتى الفرارية (بفتح الفاء) وهم الأمراء، ويأتى الخطيب والفقهاء، فيقعدون أمام السلحدارية يمنة ويسرة فى المشور، ويقف دوغا الترجمان على باب المشور، وعليه الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها، وعلى رأسه عمامة ذات حواش، لهم فى تعميمها صنعة بديعة، وهو متقلد سيفاً غمده من الذهب، وفى رجليه الخف والمهاميز، ولا يلبس أحد ذلك اليوم خفاً غيره. ويكون فى يده رمحان صغيران أحدهما من ذهب والآخر من فضة، وأسنتهما من الحديد (ابن بطوطة، ١٤١٧هـ: ١، ٣٤٣).

ويجلس الأجناد والولاة والفتيان ومسوفة وغيرهم خارج المشور، فى شارع هنالك متسع، فيه أشجار. وكل فرارى بين يديه أصحابه بالرماح والقسى والأطبال والأبواق، بوقاتهم من أنياب الفيلة، وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة، ولها صوت عجيب. وكل فرارى له كنانة قد علقها بين كتفيه، وقوسه بيده، وهو راكب فرسه، وأصحابه بين مشاة وركبان. ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف، فمن أراد أن يكلم السلطان كلم دوغا، ويكلم دوغا لذلك الواقف، ويكلم الواقف السلطان (ابن بطوطة، ١٤١٧هـ: ١، ٣٤٣).

الزواج:

فمن العادات والتقاليد لشعب بوركينافاسو ومالى الزواج، حيث كانوا قبل إسلامهم من

أهل الزواج، وإن كان على أساس سننهم وتقاليدهم إلى درجة أنهم كانوا يزوجون بناتهم وهن فى المهد فى كنف أمهاتهن وفى الرضاعة.

واذكر عادة الفلانيين فى الزواج كمثال، حيث أن الفلانيين من القبائل المشتركة بين مالى وبوركينافاسو. من عادات الزواج عند الفولاته (Peulh):

يعتبر ابن (العمّ والعمّة والخال والخالة) من الفولانيين أنّ البنت زوجة له، كما يعتقدون فى الزواج بين البنت والابن بعد ولادة البنت بأسبوعٍ. وعادةً يتمّ الزواج بين أسرة الابن وأسرة البنت دون علمهما، بما يشبه زواج الإكراه. وإذا علم أقران الزوج بالنكاح يجبرون الزوج على الوليمة بشاة يذبحونها وراء القرية ويأكلونها. ومن التقاليد أنّ المهر يكون بقرة أو بقرتين أو ثلاث حسب استطاعة الزوج، ووالد الزوجة يتصرف فى نصف المهر، وعند الطلاق تحتفظ البنت بالمهر إذا كان سوء التصرف ناتجاً من الزوج، وإذا كان من البنت يعود المهر إلى الرجل. وبعد الزواج يستمر الفرح والرقص أسبوعاً، ويذبحون فيها الأبقار والخرفان والماعز وغيرها، وبعد الزواج لا يدخل الزوج على الزوجة إلاّ بعد نوم الناس، ويستيقظ قبل استيقاظهم، ويستمر هذا مدّة أيام معينة (زينب بيلا، ۲۰۱۵).

تعدد الزوجات:

تعدد الزوجات بلا حدّ معين عادة قديمة كان عليها الآباء والأجداد، لأنّها كانت من الصفات الرجولية آنذاک، وهى عادة وراثية إلى يومنا. ويلاحظ حتى هذه الأيام تجاوز بعض المسلمين للزواج بأربع، برغم أنّ الإسلام حدّد لنا أربع زوجات مع شروط، وهذا دليل واضح على غلبة العادة الأرواحية على تعاليم الإسلام، فأغلب الرجال لا يلتزمون بحدود الإسلام فى تعدد الزوجات، ويطبقون ما كان عليه أجدادهم وآباؤهم. وأحياناً تفرض العادات على الرجل التعدد، مثلاً إذا توفى واحدٌ من الأسرة وترک زوجاته، فعلى رجال الأسرة أن يتقاسموا فيما بينهم الأرامل، لأنّ الأرملة فى العادة لا تبقى معلقة (زينب بيلا، ۲۰۱۵).

احترام واسترضاء أرواح الأجداد والسلف والاعتقاد فى ضرهم ونفعهم وإعطاء القرابين لتلک الأرواح:

يبين هذا الموضوع إلى العديد من العادات والتقاليد والمعتقدات والممارسات الدينية والثقافية التى كانت تمارس فى السابق ولا تزال موجودة إلى يومنا هذا، وهى منتشرة فى كثير من المجتمعات وبالأخص فى بوركينافاسو ومالى. تقوم شعوب هاتين المنطقتين

بالاعتقاد بأن أرواح الأجداد والسلف لا تزال موجودة بعد الموت بيننا، وأن لها القدرة على التأثير فى حياتنا نحن الأحياء. وبناءً على ذلك يلجأ شعب المنطقة إلى القيام بمجموعة من الطقوس والشعائر بقصد احترام واسترضاء هذه الأرواح، وطلب العون منها، وتجنب غضبها.

الأرواحية:

الأرواحية هى الديانة المنتشرة فى بوركينافاسو ومالى قبل مجيء الإسلام، وهى تقوم على تصوّر وجود مخطط روحىّ وراء المخطط الطبيعى، والاعتقاد بوجود نفس للأشياء، وبالثنائية، وبأنّ وراء كل شيء روحاً، ووراء كل ظاهرة عقلاً، وأنّ هناك إرادة فى كل ما نظنه صدفة، وأنّ الإنسان الذى يعىً ازدواج الطبيعة يرى أنّ كل ما يحيط به مشابه له، ويلاحظ أنّ فى داخله صلةً وثيقةً بين المادة والعقل، فهو يحاول عبر الأشكال الخارجية أن يؤثر فى الأرواح التى وراءها. ويعتقد الأرواحيون أنّ فى هذا الكون المنظم قوةً تتحرك، ويتعين على المعتقِد تحديد مسار حركتها بطقوسٍ دينيةٍ تمنع الكوارث التى يمكن أن تصيب الإنسان (زينبَ بيلا، ٢٠١٥).

الهوية واللغة:

شعب بوركينافاسو ومالى لهم هويات ولغات مختلفة، وسنذكر أهمها.

أهم مجموعات الجنسية فى مالى هى:

– الماندينغ: وتعنى هذه الكلمة مجموعة الشعوب التى تتكلم لغة الماندى.

– الصنغاى: وهم زنوج يعيشون فى محاذاة ثنية النيجر من موبتى وتومبوكتو إلى غاو.

– الفولانى: ولهم أسماء كثيرة منها "الفولا".

– البرنو: وهم من سكان إقليم برنو شمال شرقى نيجيريا، وفى غربى بحيرة تشاد، ويتألفون من عدة أجناس مختلفة.

– التوكلور: وهذا الشعب ينتشر فى بلاد السنغال، وقد انتقلت جماعات منه نحو مالى وتعمل فى الزراعة وغيرها.

– الموش: وتعيش هذه القبائل فى فولتا العليا، وأكثرها لا تزال وثنية، وتعمل فى الزراعة وبعض الصناعات، وانتقلت جماعات منها إلى مالى.

– السينوفو: وتنتشر هذه القبائل فى أعالى النيجر وأعالى نهر فولتا فى ساحل العاج.

– الماركاكا – الدوجون – والطوارق: ويعرفون بالملثمين لوضعهم اللثام على وجوههم.

– العرب: وهناک جماعات من الغرب الرحل یعیشون فی شمالی تومبوکتو، ولکن نسبتهم قلیلة (أحمد الشکری، ۱۹۹۹: ۷۰).

اللغة: الماندی – التوکلوریة – الصنغانیة – البربریة – الغربیة – الفرنسیة (أحمد الشکری، ۱۹۹۹: ۷۶).

سکان بورکینا فاسو ینتمون إلی عناصر عدیدة، منهم الموسی ویشکلون نصف السکان تقریباً، ثم الفولان والدیولا والسامو والتنجا، ومن سکان بورکینا فاسو السنوفو والطوارق. أما اللغة، فإن تعدد القبائل یفرض تعدد اللهجات، لذا نجد أن عدد اللهجات یبلغ نیفاً وخمسین. وأشهرها أو أکثرها استعمالاً هی: موری، الفلانیة، بامبارا، جولا، غرماتسی، وسینوفو. واللغة الفرنسیة، وأما الإنجلیزیة فتدرس بعد الابتدائیة فما فوقها (تراوری، ۱۴۴۱هـ: ۳۵).

حفظ الأنساب:

منذ زمن بعید، وبسبب عدم إلمام الشعب الأفریقی باللغة المکتوبة، کانت الأساطیر والمرویات المحلیة المتعلقة بها تُروی شفویًا. غالبًا ما یتم غناء هذا أو تلاوته کملحن مصحوبًا بآلة موسیقیة خلال حفل خاص (حاتمی، ۱۳۹۲: ۱۵۲).

بعض العادات والتقالید لشعب منطقة غرب أفریقیا المحذوفة والتی تم تغییرها بعد الإسلام:

الزواج، تعدد الزوجات:

من مبادئ الرسول الأعظم (صل الله علیه وآله وسلم) الحث علی الزواج ودفع الشباب المسلم إلی بناء البنیة الاجتماعیة المسلمة علی مکارم الأخلاق والعفة والکرامة، وتکوین أسرة صالحة تستطیع أن تکون لبنة أساسیة لمجتمع صالح ذی قیم أخلاقیة فاضلة، لتحمل مسؤولیاتها إلی الأجیال الصاعدة، کما أمر الله سبحانه وتعالی به فی حکم کتابه المجید (حسین الشاکری، سیرة فاطمة الزهراء (ع): ۱، ۶).

قال الله تعالی: {وَأَنکحُوا الْأَیَامَی منکُمْ وَالصَّالحینَ منْ عبَادکُمْ وَإِمَائکُمْ} (سورة النور، الآیة ۳۲). و"الأیامی" جمع "أیِّم" علی وزن "قیِّم"، وتعنی فی الأصل المرأة التی لا زوج لها، وکذلک تطلق هذه الکلمة علی الرجل الذی لا زوجة له، فیدخل فی هذا المفهوم کلّ من

ليس له زوج، سواء كان بكراً أم ثيباً. وعبارة "أنكحوا" أى "زوّجوا"، وبما أن الزواج يتم بالتراضى وحرية الاختيار بين الطرفين، فالمراد من هذا الأمر بالتزويج التمهيد للزواج، عن طريق تقديم العون المالى عند الحاجة، أو العثور على زوجة مناسبة، أو التشجيع على الزواج والاستفادة من وساطة الأشخاص لحل المشاكل المستجدة. وباختصار: إنّ مفهوم الآية واسع، حتى أنّه ليضم كل خطوة وحديث فى هذا المجال. ولا اختلاف فى أن أصل التعاون الإسلامى يوجب تقديم العون من قبل المسلمين بعضهم لبعض، وجاء ذلك هنا بصراحة ليؤكد أهمية الزواج الخاصة، وهى أهمية بالغة المدى (الشيرازى، تفسير الأمثل: ١١، ٩٢).

الزواج فى عادة الأرواحية يخص العائلة بالدرجة الأولى، فى حين أنه فى الإسلام يخص الزوجين (زينب بيلا، ٢٠١٥).

تعدد الزوجات:

تعدد الزوجات بلا حدّ معين عادة قديمة كان عليها الآباء والأجداد، لأنّها كانت من الصفات الرجولية آنذاك، وهى عادة وراثية إلى يومنا (زينب بيلا، ٢٠١٥).

قال الله تعالى: «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا» (سورة النساء، الآية ٣). ويلاحظ حتى هذه الأيام تجاوز بعض المسلمين للزواج بأربع، برغم أنّ الإسلام حدّد لنا أربع زوجات مع شروط (زينب بيلا، ٢٠١٥).

احترام واسترضاء أرواح الأجداد والسلف والاعتقاد فى ضرهم ونفعهم، إعطاء القرابين لتلك الأرواح، الوثنية، الأرواحية:

نرى أنّ الإسلام يتميّز عن الأرواحية فى مستوى القضاء، فالحكم فى الإسلام: دنيوى، يتمثل فى إقامة الحدود والتعزيرات، وأخروى، وهو الجزاء فى الآخرة. أما الأرواحية فكلّ أحكامها دنيوية، وقد تكون العقوبات فناء أو انقطاع نسل أو تعرض للعنة وكوارث، وهم يخافون من السرقة والزنا لأنّ اللعنة ستتبعهم هم وذريتهم، وهذه اللعنة لا تمهل لأنّ القوى الطبيعية من ريح ومطر وأمراض فتاكة، كلها مسخّرة لها، فلا يمكن الإفلات من العقاب، كما يعتقدون أنّ هناك أرواحاً خفية تسرى فى المادة، وفى العالم بصفة عامة، تقوم بالمهام نفسها.

مما سبق؛ نلاحظ أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين العقيدتين، الإسلامية والأرواحية، فى مستوى الجزاء، ومن ثمّ لا يُتصوّر التوفيق بينهما. وعموماً؛ فالإيمان بالإله عند البوركينيين

شبیه بشرکیات العرب قبل الإسلام، فأرواح الأسلاف هی الوساطات إلی الإله الأعظم، کما قال المشرکون فی عبادة أصنامهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} (سورة الزمر، الآیة ۳). فالأرواحیة، وإن بدا فی ظاهر الأمر أنها تتّسم بوحدة بناء ورؤیة کلیة للکون، فإنه بناءٌ واه، ورؤیةٌ ضبابیةٌ قاصرة؛ کما یتضح من معتقداتها وقصور استیعابها لحیاة ما بعد الدنیا، وهی الحیاة الباقیة. وقد وصف البروفیسور جوزیف کی زیربو المجتمع الإفریقی التقلیدی (الأرواحی) بهشاشة البنیة الثقافیة والاستبدادیة الشمولیة، وأنّ "الإفریقیین وصلوا إلی طریق مسدود، فقد کانوا یزعمون أنهم یروّضون الطبیعة بواسطة رموزهم وطقوسهم السحریة"، ثم ینتهی لیقول: "نحتاج لترویض الطبیعة بالأدوات والمعاول!"، وترویض الطبیعة بالعمل والإنتاج لإعمار الأرض وإسعاد العباد هدفٌ ارتضاه الإسلام وحثّ علی تحقیقه (زینب بیلا، ۲۰۱۵).

العادات والتقالید التی أوجدها الإسلام لشعب منطقة غرب أفریقیا:

التوحید:

قال الله تعالی: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَاهًا وَاحِدًا لَّا إِلَاهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (سورة التوبة، الآیة ۳۱). إنّ القرآن المجید یعلّم أتباعه فی هذه الآیة درساً قیّماً جداً، ویبیّن واحداً من أبرز مفاهیم التوحید فیها، إذ یقول: لا یحقُّ لأی مسلم طاعةُ إنسان آخر دون قید أو شرط، لأنّ هذا الأمر مساوٍ لعبادته، وجمیع الطاعات یجب أن تکون فی إطار طاعة الله، وإنما یصح اتباع الإنسان نظیره متی کانت قوانینه غیر مخالفة لقوانین الله، أیّاً کان ذلک الإنسان وفی أیة مکانة أو منزلة. لأنّ الطاعة بلا قید أو شرط مساویة للعبادة، أو هی شکل من أشکال الشرک والعبودیة. إلاّ أنّه یا للأسف ـ یُلی المسلمون ـ لبعد المسافة الزمنیة ـ بالابتعاد عن تعالیم هذا الدستور الإسلامی المهم، وإقامة الأصنام البشریة، فتفرقوا وتغلب علیهم المستعمرون والمستثمرون، وإذا لم تتکسر هذه الأصنام البشریة فلا ینبغی أن ننتظر زوال هذه البلایا وسدّ الثغرات. وأساساً فإنّ هذا النوع من الشرک أو العبادة الوثنیة أخطر بکثیر من عبادة الأصنام والأحجار فی زمان الجاهلیة، والسجود لها، لأنّ تلک الأصنام والأحجار لیس فیها روح حتی تستعمر عبدتها، إلاّ أنّ الأصنام البشریة وبسبب غرورهم وعدوانهم یجرّون أتباعهم إلی الوبال والذلة والشقاء والانحطاط (الشیرازی، تفسیر الأمثل: ۶، ۱۶).

الصلاة:

قال الله تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} (سورة النساء، الآية ١٠٣).

الصوم:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (سورة البقرة، الآية ١٨٣).

الحج:

قال الله تعالى: {فيه آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (سورة آل عمران، الآية ٩٧).

الزكاة:

قال الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (سورة البقرة، الآية ١١٠).

العقيقة:

العقيقة بمعنى الأذان والإقامة فى أذنى المولود، وحلق شعر رأسه والتصدق بوزنه ذهباً، وذبح كبشين إن كان المولود ذكراً وكبشاً إن كانت بنتاً، فهى من العادات التى جاء بها الإسلام فى المنطقة.

الاحتفال بمولد النبى (ص):

الاحتفال بمولد النبى (ص) من أهم الطقوسات التى يمارسها المسلمون فى جميع أنحاء العالم، خصوصاً شعب بوركينافاسو ومالى منذ ورود الإسلام فيهما. إلا أننا مع قلة المصادر والمكتوبات عن أمثال هذه المطالب المهمة لا نملك أدلة عن تاريخ بداية الاحتفال بمولد النبى (ص) فى منطقة بوركينافاسو ومالى. ففى زماننا هذا نرى بأن المسلمين يحتفلون بعيد مولد النبى (ص) التى تصادف اليوم ١٢ من ربيع الأول فى كل سنة، إلا القليل منهم الذين يقولون بأنها بدعة وعدم جواز الاحتفال. أما المحتفلون فيحتفلون بمولده (ص) منذ اليوم ١٢

من ربيع الأول إلى عدة أشهر بعدها، لحاظاً عن كثرة الشيوخ الذين يحيونها حسب أوقات المناسبة لهم.

بعض شيوخ بوركينافاسو الذين يحيون ذكرى المولد النبوى الشريف:

الشيخ الدكتور الحاج سيدى محمد مايغا الثانى (رحمه الله)، الشيخ الحاج عبد الوهاب ويدروغو (تسليماً)، الشيخ الدكتور الحاج أبوبكر دوكورى (واغادوغو)، الشيخ الحاج عيسى كندو (ريمكيتى واغادوغو)، الشيخ الحاج محمود باندى، الشيخ الدكتور الحاج خالد سانا، وغيرهم من الشيوخ، علماً بأن فى جميع مناطق بوركينافاسو يحيون هذه الذكرى المباركة.

بعض شيوخ مالى الذين يحيون ذكرى المولد النبوى الشريف:

السيد بويا حيدرا (يونرو)، السيد عثمان مدان حيدرا (بماكو)، السيد سؤولا بيحيا حيدرا، الشيخ أبو جعفر محمد جباتى، وغيرهم من الشيوخ والسادة. والإحياء يعم جميع مناطق مالى.

وتكون أكثر برامج هذه الذكرى كالتالى: قراءة القرآن، الوعظ والإرشاد، الأذكار، بيان سيرة النبى (ص)، بيان تعاليم الدين كالأحكام مثلاً، الأناشيد وقراءة مدح النبى (ص) الوارد فى كتب المداحين، ككتاب مدح النبى (ص) للبوصرى وغيرها من الكتب. ونموذجاً فى إحياء ذكرى المولد النبوى الشريف نذكره هنا هى ذكرى المئوية لمولد النبى (ص) فى رحمة الله – واهيوغويا، بوركينافاسو – فى تاريخ ۲۰۲۱م. يحتفل المسلمون فى جميع أنحاء العالم بالمولد النبوى الشريف. اجتمع مسلمو الطريقة التجانية فى رحمة الله للاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف يوم ۱۸ أكتوبر ۲۰۲۱. يصادف هذا الاحتفال بالذكرى المئوية للمولد فى مدينة راماتولاى. لقد مرت الآن مائة عام منذ أن تم الاحتفال بالمولد فى رحمة الله، وهى بلدة ريفية تقع على بعد أكثر من عشرين كيلومتراً من أواهيغويا من قبل جماعة التيجانية (Nafisiatou VEBAMA, Infowakat.net, ۱۹ octobre ۲۰۲۱).

اللغة العربية:

من يتابع تاريخ اللغات فى أفريقيا عامة وفى الغرب خاصة يلاحظ أن اللغة العربية هى إحدى اللغات الأفريقية، حيث يتحدث بها حوالى ثلث سكان القارة، وخاصة الشعب المصرى، السودان والمغرب العربى الذى يمتد إلى ساحل المحيط الأطلسى فى موريتانيا. وسيتضح له أيضًا أنها لغة الدين والثقافة فى أجزاء أخرى من القارة؛ وارتبط انتشار الإسلام

بالحفاظ على اللغة العربية من خلال التعليم والتجارة. وقد تعلم الناس الحد الأدنى من القرآن اللازم لأداء الصلاة المفروضة. وكان فهم القرآن مرتبطاً أيضاً بدراسة بعض عناصر اللغة العربية، مثل العلوم الفقه والنحو والصرف والبلاغة على مستوى أعلى.

المدارس:

المدارس العربية الأولى فى بوركينافاسو:

١. اسم المؤسسة: مدرسة ألفاموى جينيبو، المؤسس: ألفاموى جينيبو، مرجعية المؤسسة: خاصة عربية، أنشطة المؤسسة: مع وزارة التربية ومحو الأمية، تاريخ التأسيس: ١٩٤٧م، المراحل الدراسية: الابتدائية.

٢. اسم المؤسسة: مدرسة السلام، المؤسس: محمود سانوغو، مرجعية المؤسسة: خاصة عربية فرنسية إسلامية، مقر المؤسسة: بوبو جولاسو، فروع المؤسسة: ثلاثة فروع فى مدينة بوبو جولاسو، فرع (١) فى موهون، أنشطة المؤسسة: تربوية ودعوية، تاريخ التأسيس: ١٩٥٧م، المراحل الدراسية: الابتدائية الإعدادية الثانوية.

٣. اسم المؤسسة: المدرسة العربية الفرنسية سيكاسو سيرا، المؤسس: الاتحاد الثقافى الإسلامى، مرجعية المؤسسة: خاصة عربية فرنسية إسلامية، مقر المؤسسة: مدينة بوبو جولاسو، أنشطة المؤسسة: تعليم اللغة العربية وتعاليم الإسلام، تاريخ التأسيس: ١٩٥٨م، المراحل الدراسية: الابتدائية (كندو، ٢٠١٩).

وفى مالى، فقد تم تطوير أغلب الخلاوى القرآنية إلى مدارس عربية حديثة وذلك فى الخمسينيات أى قبل الاستقلال بعقدين، وأهم هذه المدارس هى:

١. مدرسة الفلاح للشيخ الحاج محمود باه فى مدينة كاى (كايس) عام ١٩٤٦م.

٢. مدرسة النجاح للحاج أبوبكر تيام فى سيقو عام ١٩٤٧م.

٣. مدرسة الفلاح للحاج سعد تورى فى سيقو عام ١٩٤٧م. وهى المدارس الأولى التى نشأت فى مالى قبل الاستقلال (التواصل والتداخل فى أفريقيا، أوراق المؤتمر العلمى (الكتاب الثانى): ١٧).

المساجد:

جمهورية مالى:

– المسجد الكبير بتمبكتو (يعرف بجنكرى بيرا): وهو أكبر المساجد بتمبكتو وأقدمها، ولا

يعرف تاريخ بنائه على وجه التحديد، ويرجع أنه بنى فى القرن السادس الهجرى، وأعيد بناؤه فى القرن الثامن للهجرة فى عهد السلطان منسى موسى ملک مالى (حلاوة حنان وزينب تمصلوحت، ۲۰۲۱-۲۰۲۲: ۳۶).

جمهورية بوركينافاسو:

– المسجد الكبير فى بوبو ديولاسو: فى نهاية القرن التاسع عشر، كانت المنطقة التى يقع فيها المسجد حاليًا تحت حكم مملكة سيا. فى ذلک الوقت، كانت المملكة فى خطر بسبب عداء مملكة كينيدوغو. حشد تيبا تراورى، ملک مملكة كينيدوغو، قواته نحو العاصمة سيا. كان ملک سيا بحاجة ماسة إلى المساعدة للدفاع عن مملكته. وفى نهاية المطاف التقى بزعيم دينى مسلم محلى، وهو الإمام صديقى سانو، الذى كان على استعداد لمساعدته. فى المقابل، طلب سانو من ملک سيا بناء مسجد. توقفت مملكة كينيدوغو على بعد حوالى ۳۰ كيلومتراً من عاصمة سيا، وأخيراً تم بناء المسجد الكبير فى بوبوديولاسو. بدأ بناء المسجد فى عام ۱۸۱۲ واكتمل فى عام ۱۸۳۲. ومنذ ذلک الحين، خضع المسجد لعدة أعمال تجديد للتوسع والإصلاح. فى عام ۱۹۸۳ تم بناء سقف من الصفيح لتغطية جزء من الفناء (وندرموندو، تم الاسترجاع فى ۲۸ أغسطس ۲۰۲۱).

لقد تميزت التعاليم الإسلامية عن بقية الأديان السماوية كونها لا تمتلک طبقة كهنوتية تبشيرية كما هو الحال فى الديانة المسيحية، كما أنها ليست ديناً مغلقاً كالديانة اليهودية، فهى تدعو الناس للدخول فى الإسلام بالحكمة والمواعظ الحسنة وتجادل الغير بالتى هى أحسن.

قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّکَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (سورة النحل، الآية ۱۲۵).

فتعاليمها المتميزة استطاعت أن تؤثر فى العادات والتقاليد لشعب منطقة غرب أفريقيا (بوركينافاسو ومالى) من بداية دخول الإسلام فيها إلى يومنا الحالى. فعلى ذلک نذكر عدة مجالات منها لكثرتها، وهى كالتالى:

فى مجال اللباس والنظافة:

دعوة التعاليم الإسلامية للنظافة والتطهر دفعت الكثير من الأفارقة حكاما ومحكومين لنبذ تلك العادة وتركها، وانجذب لملابسه النظيفة والمحتشمة شعب المنطقة، والتى تختلف عن ما اعتاد الأفارقة على لبسه من ملابس تستر العورة فقط. وكان الستر على القبل والدبر إلا القليل منهم، حتى فى الوحلات الأولى من إسلامهم كانت تلك المناظر مشهورة فى المنطقة كما يبين ذلك ابن بطوطة عند رحلته إلى مالى حيث رأى بنات سلطان سليمان وخدامه يأتين فى مجلسه بدون لبس الحجاب الإسلامى. ولكن مع مرور الزمان تغيرت الأوضاع بسبب كثرة الوعاظ وترسخ العقيدة وفهم التعاليم الإسلامية بشكل كبير، خصوصاً فى يومنا هذا. قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيمًا» (سورة الأحزاب، الآية ٥٩).

مجال التعصبات القبلية والطبقات الاجتماعية:

المجتمع الإسلامى تُلغى فيه الفوارق بين الناس، فيتساوون فى الحقوق والواجبات ومستوى المعيشة، وتسود العدالة الاجتماعية، وتحترم فيه حقوق الفرد، وتُلغى الطبقية. وعلى ذلك الأساس تقبلوا الدين الإسلامى حكاما وشعوباً، فالشعب تمسك به كونه دين التسامح والمحبة، والحاكم قبل به وتمسك به كونه دين التجمع والوحدة، وهو ما كان يدعو إليه الأفارقة، فبدلاً من وحدة القبيلة أو المدينة أصبحت الوحدة عامة شاملة لكل المنضوين تحت راية الإسلام، فهى أمة إسلامية واحدة.

فالإسلام لم يكن فى يوم ما ليفرق بين أبيض أو أسود، ولا بين عربى وغير عربى، فتعامل الإسلام مع الناس ومنهم الأفارقة السود على هذا الأساس الذى جعله يتقدم فى أفريقيا بسبب القضاء على كل إحساس باحتقار الأسود أو معاملته على أنه من طبقة منحطة. فالمواطن المالى والبوركينى مثلاً مقتنع بأن دخوله فى الإسلام لا يحتاج منه أن يفقد قوميته، ولا يستلزم تغييرات انقلابية فى الحياة الاجتماعية، وهو لا يقوض نفوذ الأسرة أو سلطة الجماعة، ولا توجد هوة بين الداعى للإسلام والمتحول إليه، فكلاهما أمام الله واحد، ولا يعنى الدخول فى الإسلام ترك شؤون الأسرة والحياة الاجتماعية أو عدم احترام حكام البلاد الأصليين، وإنما بالإسلام وتعاليمه ينتقل الإنسان إلى منزلة أرقى وفكرة أسمى تحرره من الأوهام والخرافات.

القضاء على العصبية القبلية التى كانت سائدة والتى بنى المجتمع الأفريقى عليها من خلال جعل رئيس القبيلة الممثل الوحيد لأبناء القبيلة أمام أرواح الأسلاف أو أمام الآلهة الأخرى، تلك العصبية القبلية قضى عليها وتحولت إلى تعاون ومحبة وارتباط كامل بالأمة الإسلامية التى تحتضن الجميع وتجعل من التقوى المقياس الحقيقى للتميز.

مجال الحكام:

الإسلام لم يأت إلى أفريقيا لينهى دور حكامها ويستبدلهم بحكام مستوردين للمنطقة من خارجها، بل على العكس أبقى على أولئک الحكام وتعامل معهم وفق مبدأ التسامح الذى انعكس إيجاباً على طريقة تعاملهم مع رعاياهم من المسلمين. كما أن حكامهم وملوكهم بدلاً من أن يحكموا بلداناً معزولة ويطيعهم الناس ضمن إطار الخوف والتبجيل الزائف، أصبحت طاعتهم واجبة من قبل جميع الرعية وفق تعليمات إلهية بطاعة أولى الأمر.

فى مجال اللغة:

فاللغة العربية وصلت إلى تلک المنطقة ودخلت فى لغة البلاد الأم دون إلغاء تلک اللغة التى يعتز بها السكان الأصليون، بل نتج عن ذلک التعامل سيادة حروف ومفردات اللغة العربية، وبالتالى وصول اللغة العربية ككل إلى المنطقة، والتى أصبح الأفريقى المسلم بأشد الحاجة إليها ليتمكن من قراءة القرآن الكريم. إن المسلمين قد تعاملوا مع اعتزاز الأفارقة بهويتهم ولغتهم بشكل إيجابى شجع الأفارقة على دخول الإسلام والاندماج فى الحضارة الإسلامية.

فى مجال العبادة:

نلاحظ أن تعاليم الإسلام سمحت للسكان الأفارقة بالإبقاء على مكتسباتهم القديمة التى لا تتعارض مع الشرع الإسلامى. والترحيب الذى كان يلقاه الوثنيون الأفارقة حال دخولهم فى الإسلام هو الذى كان يجعلهم يتمسكون به ويشجعهم على الانضمام إلى مجتمع إسلامى يتطلب منهم التخلى عن كثير من عاداتهم وتقاليدهم. التعامل مع المكتسبات القديمة التى لا تتعارض مع الشرع الإسلامى والقضاء على الوثنى منها بشكل تدريجى من خلال إقناع الداخلين الجدد فى الإسلام بعدم فائدة تلک العادات والتقاليد. فقد أبقى الإسلام على عادة التتريب لدى الأفارقة حتى اقتنعوا أنفسهم بتركها، وهى العادة التى يعمل من خلالها المواطن الأفريقى بوضع التراب على رأسه إذا ما امتدحه الملک أو السلطان، والتى استمر عليها

البعض حتى وقت متأخر كما يذكر ذلك ابن بطوطة فى رحلته إلى مالى.

فى مجال المساجد والمدارس:

بالنسبة إلى المساجد والمدارس فقد أشرنا إلى عدة منها كنماذج فى مجال العادات والتقاليد التى جاء بها الإسلام فى المنطقة. أما فى باب تحديد عددها فتقصر القلم عن ذلك، وهى بديهى، لأن المساجد والمدارس فى بوركينافاسو ومالى تعد بالآلاف، والصعوبة التى نواجهها فى عدها هى أن أكثرها ليس لديها رخصة حكومية، ولكثرة بناء المساجد والمدارس فى المدن والقرى، وإلى يومنا هذا فلا تزال البناء قائمة. أما بالنسبة إلى الكتاتيب، ففى الوحلة الأولى من دخول الإسلام فى المنطقة كانت تعد أبرز مكان لتعليم الدين والعلوم الإسلامية، وكانت كثيرة، أما فى الوقت الحالى فأصبحت قليلة جداً لأسبابها وظروفها الخاصة.

النتايج

المصادر:

۱. القرآن الكريم.

۲. الغزی، الشيخ الدكتور محمد صدقی بن أحمد، الوجيز فی إيضاح قواعد الفقه الكلية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ۱۴۱۶هـ – ۱۹۹۶م.

۳. بالرقی، فريدة، كتاب جامع عادات وتقاليد، تاريخ الإنشاء: ۲۰۲۲م.

۴. الطنطاوی، محمد سيد، التفسير الوسيط، مصدر الكتاب: موقع التفاسير http://www.altafsir.com.

۵. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبی داود، تحقيق: محمد محيی الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر، مع الكتاب تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألبانی عليها.

۶. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة، مصدر الكتاب: موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء http://www.alifta.com.

۷. شهرزاد بوجيل وربة ربوش، دور الشيخ عثمان دان فوديو الإصلاحی فی غرب أفريقيا (۱۷۵۴م–۱۸۱۷م)، جامعة العربی التبسی – تبسة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عام ۲۰۱۸م.

۸. مصطفی مسعد، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فی حركة عثمان بن فودی الإصلاحية فی غرب أفريقيا (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)، الناشر: عمادة البحث العلمی بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ۱۴۱۱هـ/۱۹۹۱م.

۹. تراوری، حمد بن آدم بن أحمد، المد الرافضی فی بوركينافاسو، فهرسة مكتبة الملک فهد الوطنية أثناء النشر، المدينة المنورة، ۱۴۴۱هـ

١٠. أحمد الشكرى، الإسلام والمجتمع السودانى: إمبراطورية مالى ١٢٣٠-١٤٣٠م، الناشر: أبو ظبى، المجمع الثقافى، ١٩٩٩م، ط١.
١١. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر: ١٤١٧هـ
١٢. زينب بيلا تاسيريبانكينى، التفاعل الدينى الاجتماعى فى بوركينافاسو (الأرواحيّة والإسلام) نموذجاً، المصدر: قراءات أفريقية، الناشر: مركز أبحاث جنوب الصحراء - بريطانيا، عام: ٢٠١٥م.
١٣. حاتمى، الدكتور محمد رضا، فرهنگ و تمدن در آفريقا، الناشر: مؤسسه فرهنگى، هنرى و انتشارات بين المللى الهدى، ١٣٩٢هـ.ش، الطبعة الأولى.
١٤. حسين الشاكرى، سيرة فاطمة الزهراء (ع)، الناشر: المؤلف، البلد: قم المقدسة، عدد الأجزاء: ١.
١٥. الشيرازى، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، مصدر الكتاب: الموقع الرسمى للمؤلف http://www.makaremshirazi.org/books/arabic.htm.
١٦. كندو، الدكتور وليلاى كندو، اللغة العربية فى بوركينا فاسو من القرن الخامس عشر الميلادى إلى اليوم، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، النشر: المملكة العربية السعودية - الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى لخدمة اللغة العربية، العربية فى العالم ١٢.
١٧. التواصل والتداخل فى أفريقيا، أوراق المؤتمر العلمى (الكتاب الثانى)، مكان: جامعة أفريقيا العالمية السودان - الخرطوم، ملتقى الجامعات الأفريقية، التاريخ: الخرطوم - يناير ٢٠٠٦.
١٨. حلاوة حنان، تمصلوحت زينب، المساجد العتيقة فى مدينة تمبكتو خلال القرن ١٥م (دراسة أثرية تاريخية)، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، القسم: العلوم الإنسانية، الشعبة: تاريخ، الموسم

الجامعی ۱۴۴۲هـ – ۱۴۴۳هـ / ۲۰۲۱م – ۲۰۲۲م.
۱۹. وندرموندو، تم الاسترجاع فی ۲۸ أغسطس ۲۰۲۱م.

المصادر الأجنبیة:

۲۰. .Par Jk. Sidwaya - Sidwaya est un quotidien national du Burkina Faso. Ancien journal étatique, il est aujourd'hui considéré comme un journal de référence par la population Burkinabè; Lancé le ٥ avril ١٩٨٤ sous la Révolution de Thomas Sankara. https://www.instat-mali.org/fr/actualites-et-evenements/resultats-du-rgph٥-٢

۲۱. Réligion/ Maouloud: ١٠٠ ans de célébration à Ramatoulaye! Nafisiatou VEBAMA / Infowakat.net ١٩ octobre ٢٠٢١.